ماهية الانسان

لجناب المعلم جرجس بطرس النبشرالي

عرّف المنطقيون الانسان بانهُ حيوان ناطق لفصلهِ عن جنسهِ اي الحيوان بالنطق وعرّفهُ البعض بانهُ حيوان ديني لاختصاصهِ بتأثير الدين فيهِ او لتصّرميل التدين عليهِ . وقد اختلف الباحثون في ماهيتهِ فزعم قوم ان كل الاشياء وفي جملتها الانسان اوهامٌ وخيالات وهو مردود بدليل ان إدراك وجود الجوهر من البديهيّات المعروفة بالوجدان فان شعوراتنا وتفكّراتنا واعمال ارادتنا صادرة عن شيء موجود لان ما يعمل موجود اما غير الموجود فهو عدم والعدم لا قوة لهُ ولا تصدر عنهُ نتائج . وزعم غيرهم ان الانسان جوهر واحد مادي وعندهم ان الدماغ مصدر التعقل والادراك بدليل تأثير العقل بالآفات التي تطرأ على الدماغ وضعفهِ في الشيوخ لضعف ادمغتهم وهو ايضاً مردود بدليل اختلاف افعال الانسان التي تبرهن انهُ اكثر من جوهر واحد فان العرق والهضم مثلاً من افعال الجسد او المادة واما الادراك والذكر فليسا من افعال الجسد وايضاً بدليل اختلاف لوازم الانسان فان ثقلهُ وامتدادهُ ولونهُ من لوازم المادة وفرحهُ وحزنهُ من لوازم غير المادة . وهذا التباين بين الافعال واللوازم يدل على وجود اكثر من جوهر واحد في الانسان وان الجوهر الثاني غير مادي . اما ما استدلوا بهِ من تاثير العقل بواسطة تاثير الدماغ فليس قياساً عاماً لانهُ قد يصيب الانسان مرض دماغي ويبقى عقلهُ سالماً بل قد يزيد قوةً واذا فسدت اعمال العقل لمرض في الدماغ فذلك لان الدماغ آلة للعقل فاذا تعطّلت هذه الآلة تعطّلت اعمال العقل لا العقل نفسهُ كما انهُ اذا تكسّرت آلة العامل لا يتكسّر العامل نفسهُ

وقال آخرون ان الانسان مؤلف من ثلاثة جواهر جسد هيولي وحياة حيوانية او نفس وحياة عالية او روح بناء على ان الانسان يتضمن الحيوان وزيادة كما ان الفرع يتضمن الاصل وزيادة فاذا مات حيوان غير الانسان صار جسدهُ تراباً بحسب النواميس الكيماوية واضمحلت نفسهُ واذا مات انسان جرى على جسدهِ ونفسهِ ما يجري على جسد الحيوان ونفسهِ واما روحهُ فتبقى لتتحد بجسدهِ عند القيامة . وعندهم ان لكل جوهر من هذه الثلاثة لوازم خاصة بهِ فلوازم الجسد التغذي والنمو والبرد ونحوها ولوازم الحياة الحيوانية الشعور والحس والفهم والوجع ونحوها ولوازم الروح او الحياة العالية التعقل والادراك والمسئوليّة وما شاكلها . وهو مذهب افلاطون ومن اتبع فلسفتهُ وهو مبني على ان الروح الانسانية جزء من الجوهر الالهي فلا تقبل الخطية المحصورة في الجسد وفي الحياة الحيوانية

وقال غيرهم ان الانسان مؤلف من جوهرين فقط وهما الجسد الهيولي المشترك بهِ كل جنس

الحيوان والنفس الخالدة القائمة فيهِ مقام الحياة الحيوانية في بقية الجنس ويستفاد ذلك من تعريف الانسان المصدرة بهِ هذه المقالة فان كلمة حيوان تشير الى المادة المحسوسة اي الجسد الحيواني وكلمة ناطق قيد لنفس الانسان وهي تشير الى القوة الموجودة في الانسان الناطق باصوات دالّة على انتقاش المعاني في جنانهِ وادراكها ولا توجد هذه القوة في بقية الحيوان لفقدهِ انتقاش المعاني . ولفظة ديني تدل ايضاً على الحياة الخالدة القابلة التديُّن الامر الذي لا يتاثر بهِ الحيوان . ولهولاء عدة ادلة بعضها كتابية وبعضها عقلية اما العقلية فهي ما يتعلق على شهادة الوجدان فان كل فرد من البشر يشعر بوجود اعمال ولوازم فيهِ بعضها خاص بالجسد كالهضم والافراز والجوع والعطش وبعضها بالنفس كالعلم والادراك والتذكر والتخيُّل والفرح والحزن فاستدلوا منها على ان في الانسان جوهرين ممتازين وهما النفس والجسد

اما العلاقة بين النفس والجسد فهي ان النفس تدرك ما في الخارج وتُظهر افعالها بواسطة الجسد وهي ينبوع حياتهِ فاذا فارقتهُ مات وفسد ورجع تراباً . ولعلاقة النفس او العقل بالجسد ينمو بنموهِ ويضعف بضعفهِ وتؤثر فيهِ الاعراض التي تصيب الجسد فضربة على الدماغ تجعل خللاً في قوى العقل ومرض دماغي يسبب جنوناً كما ان انفعالات العقل تؤثر في الجسد فالخجل يجعل الوجه يحمرُّ والفرح يجعل القلب يخفق . وكيفية هذا التعلق بين النفس والجسد من الاسرار الغامضة ولا نعلم الاَّ نتائجهُ

وبمسائل الاختلاف في مسئلة ماهية الانسان الاختلاف في الفرق بين النفس والعقل فنذكر خلاصة المذاهب المشهورة في هذا الشان

لا يخفى ان لوازم النفس تنسب مراراً الى العقل وبالعكس وتارةً تخصَّص النفس باعمال كالفرح والحزن مثلاً والعقل باعمال اخرى كالفهم والذكر . فقال قوم ان كلاً من النفس والعقل جوهر مستقلٌّ ممتاز عن الآخر وجعلوا النفس مصدر الاعمال الادبية المسئول عليها الانسان والعقل مصدر الادراك وباقي الافعال العقليَّة . وقال غيرهم ان العقل من بعض قوى النفس وانما هي الفاعل وهي آلتها كالقلم بيد الكاتب . وقال آخرون ولعلهُ الاصح ان الذهن والعقل والنفس والروح كلمات مترادفة تخلص بذات واحدة تُسمَّى بها بالنسبة الى عملها فتُدعَى ذهناً من حيث استعدادها للادراك وعقلاً من حيث ادراكها ونفساً من حيث تصرفها بمدركاتها وروحاً من حيث انها نسمة ريح تتردد في مخارق البدن

هذا ولا بد لنا من ان نلتفت قليلاً الى كيفية ايصال الادراك والعلم الى النفس بواسطة قوى العقل والمشاعر الخمس فان العقل عند خلقهِ يكون خالياً من المعرفة ثم عند وصول المؤثرات اليهِ يستيقظ ويتوسَّع بمدركاتهِ الغريزية البديهية وما يكتسبهُ بالاختبار والممارسة فان فَقَدَ قواهُ فقد العلم

بوجود ذاته وان مُنع وصول المؤثرات اليه لم يعلم شيئًا عمَّا هو خارج عنه . وقد شبَّه البعض العقل بقرطاس خالٍ من الكتابة او آلة موسيقية ساكتة والمعرفة التي يكتسبها بالكتابة على الورق او الضرب على اوتار الآلة وهذا التشبيه وان يكن لا يصدق على العقل من كل وجهٍ فهو يبين انهُ كلما عرف الانسان اكثر عن العالم زادت معارف عقله

وادراك العقل نفسهُ وما في الخارج يتوقف على ثلاثة امور رئيسية وهي فاعل الادراك وموضوعهُ وآلتهُ . اما العقل فيقع دائمًا فاعلاً فان كان فاعلاً في ادراك نفسهِ تكون قواهُ آلة الادراك ويكون هو الفاعل والموضوع والآلة وان كان فاعلاً في ادراك ما في العالم الخارجي تكون المشاعر الخمس آلة الادراك وهي النظر والسمع والشم والذوق واللمس ويتصل الشعور الى العقل بواسطة الدماغ واعصابهِ فالعقل يبصر مثلاً بان تنعكس اشعة النور عن الاجسام الى العين فترتسم صورها على الشبكية حيثما ينبسط العصب البصري فيحمل هذا العصب تأثير الاشعة الى الدماغ فيدرك العقل صورة المرئيات . والدليل على ذلك انهُ متى تعطَّلت العين آلة البصر لا يقدر العقل بعدُ ان ينظر شيئًا من الخارج مع ان قوة الابصار لا تزال فيهِ وتس عليهِ بقية المشاعر

اما قوى النفس فنوعان عقلية محضة كقوة الذكر والتصوُّر والتخيُّل والاستدلال وغيرها ممَّا نستعملهُ دائمًا في اكتساب العلم وفي الحديث ومعاطاة الاعمال وباطنيَّة كالمحبَّة والبغضة والفرح والحزن وهي التي نريد بيانها الآن فنقصد هذه الافعال النفس ايضًا كما انها مصدر الافعال العقلية (خلافًا لمن يقولون ان كلاًّ منها صادر من جوهر مستقل) ويمكننا قسمتها الى ثلاثة اقسام عواطف ومشيئة وضمير

فالعواطف هي اميال النفس (وقد تنسب الى القلب مجازًا) ومطاليبها محبة الحياة ومحبة الحرية ومحبة القوة ومحبة الرياسة ومحبة المعاشرة ودرجات تاثيرها ممَّا هو خارج عنها باعتبار تفاضلها هي قابلية ثم ميل ثم انفعال ثم شهوة واذا خصصنا احد مطاليبها لاستقصاء مراتب فعلها فيهِ كالمحبة مثلاً نجد عندها الهوى ثم العلاقة ثم الكلف ثم العشق ثم الشغف ثم اللوعة وهلمَّ جرًّا الى الهيام اما تاثيرها في النفس فعند الطلب رجاء وانكال او ريبة وشك وعند البلوغ سرور وجذل وابتهاج وفرح وسعادة وعند الخيبة حزن وكد وغم وكرب ويأس . فان كان سبب الخيبة من الطالب فالتاثير فيهِ خجل وندامة وأسف وكآبة وان كان من غيرهِ فغضب وغيظ وسخط وحقد وبغضة وانتقام . وهذه الافعال تصدر من كل انسان عند وقوع علمها كما لا يخفى ما لم يكن حاكمًا على هواهُ

والمشيئة هي قوة الاختيار وباقترانها مع العواطف يتم عمل الانسان مطلقًا اي بدون نظر الى ماهيتهِ

والضمير هو القوة المميزة بين الحق والبطل والحلال والحرام ويتداخل في افعال النفس اذا

كانت ادبية ووظيفتها تدريب المشيئة في اطاعة العواطف او عصيانها

وخلاصة ما تقدم ان جوهر الانسان الروحي هو الفاعل المختار وجوهره المادي هو الآلة وان درجات العمل في اولاً الادراك بالقوى العاقلة وحدها او بواسطة المشاعر وثانياً الميل بالعواطف وثالثاً الاختيار بالمشيئة فان قيل ما هو الانسان قلنا نوسعاً انه ادراك وعواطف ومشيئة او تاثر وميل واختيار

أنطاكية

لجناب المعلم ابرهيم واكد (وكيل المتطف بانطاكية)

في واقعة على نهر العاصي على نحو ٦٠ ميلاً غربي حلب وعلى ١٥ ميلاً من بحر الروم وفي قضاء يُدعى باسمها من لواء حلب عدد سكانها نحو ١٧٠٠٠ نفس منهم اتراك نحو ١٠٠٠٠ وروم ارثوذكس ٣٠٠٠ والباقون ارمن ويهود ونصيرية وكانت قديماً اشهر مدن العالم وقصبة مملكة سوريا بناها الملك سلوقس سنة ٣٠٠ ق م وقد أُحصي عدد سكانها وقتئذٍ فبلغ ٧٠٠٠٠٠ نفس واما الآن فقد انحطت عن عظمتها بسبب ما الم بها من رزايا الحروب العديدة والزلازل المتواترة حتى غدت لا تشغل سدس موقعها القديم . وكانت انطاكية قاعدة مملكة السلوقيين وهي ايضاً احدى مدن السلوقيين الاربع انطاكية واللاذقية وسلفكة وافاميا التي بناها الملك سلوقس الاولى نسبة لابيه انطيوخس والثانية لوالدته والثالثة لامرأته والرابعة له . ومن اشهر حوادث انطاكية استيلاء ديكرانس الارمني عليها من ايادي السلوقيين واسترجاع انطيوخس فيلوباطر السلوقي اياها سنة ٦٢ ق م وبقاؤها تحت تسلط السلوقيين بضع سنين الى ان افتتح بمبيوس الروماني كل البلاد السورية . وفي ايام الرومانيين اخذت انطاكية في التقدم والعمران فجعلوها قصبة ملكهم في اسيا وكانت تعد ثالثة مدن المملكة الرومانية وملكة المشرق وفي سنة ٢٥٨ ب م فاجأها الفرس فاخربوها واحرقوا جميع ابنيتها العظيمة وقصورها الفاخرة وسلبوا ما لها وقتلوا من لم ياسروه من اهلها ثم تداولت عليها دول عديدة فافتتحها اليونان مرة والمسلمون اخرى والافرنج مرات وكانت تخرب وتشيد الى ان افتتحها العثمانيون سنة ١٥١٦ ب م ولم تزل تحت تسلطهم . ولما كانت هذه المدينة مبنية على اراضٍ بركانية كانت مبدأ تتنازل فيه الزلازل فتخرب ما تبقيه عوائل الحروب او ما يشاد بعدها وقد رزئت انطاكية من وقت بنائها الى الآن باحدى عشرة زلزلة اورثتها الدمار والخراب فاستست على ما هي عليه من الحطة وسوء الحال . ولم يبقَ فيها من الآثار التي تدل على عظمتها سوى